

ملح ورمل

رهف نصر



ملح و رمل

نصوص

رہف نصر

للملح ذاكرة كل مياه ذاب بها وتبخرت عنه

للملح ألف ذاكرة

وبحر

تعرف جيدا أنك تصارع أمواجاً من زبد
ولكنك تستمر في التألم وممارسة الغرق
ربما تأمل أن تصدقك عينك فتمدعان
حينها

قد لا تضطر للإعتراف بأنك جاف تماماً
وأن الملح بحلقك كلمات تحاول الهرب

في السادسة صباحا

أرقت قط الشارع يتسلق البناية المقابلة لي

يسلم نفسه فجأة لسقوط حر كفيل بلي عنقه

أكاد أقسم بأنني أرى الموت وهو يقترب منه في
تؤدة

يعدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة قبيل وصوله
للأرض

يعدل من وضعه ليهبط على قوائمه بعد ما حدق
في أعين الموت بتبجح

يبدأ رحلة التسلق من جديد ويكرر فعلته لمرة
ثانية، ثالثة، رابعة، خامسة

في المرة السادسة يلتفت نحوي فجأة يسقط وأعينه
مثبتة بعيني

ما أن يلامس الارض حتى يركض عابرا الطريق
نحو بنايتي

أسمعه يموء خلف بابي فأفتح الباب لينسل داخلا
نجلس متلاصقين فوق الأريكة

يرتعد جسدانا نتحاشى النظر في أعين أحدهنا
الأخر

أود لو أسأله أنجوننا بالسابعة؟

تدق اليمامة نافذتي

نقرات سريعة متتالية

تقرب عيونها الصغيرة الفضولية من الزجاج

كأنما لتتقين بأن المكان مهجور..

أفتعل بعض الحركة لأصرفها عن نافذتي

لكنها تستمر في نقرات تتباعد المسافات بينها

كساعة خربة توشك على التوقف..

أقترب من النافذة عامدة لتراني

تستمر في التجول بعينيها داخل الغرفة..

تنظر خلالي تماما كأنني لست هناك..

تسري برودة لاذعة في عظامي..

تتوقف نقرات اليمامة التي تغفو في طمأنينة الآن
خارج نافذتي..

كان من الممكن.. بل ربما من المستحسن أن أفعل
مثلك فأتجاهل القطط السوداء النحيلة التي تتجول
حولنا في تبجح

كان من الممكن أن أشيح بوجهي عنها تماما رغم
تزايدها المستمر
أن أرجع شعرها المتساقط في كل مكان إلى
إهمالي

وأن أبرر صوت موائها بصدأ مفاصل الأبواب
الهرمة

كان من الممكن.. لو أنها لم تبدأ في الظهور في
الأحلام
فها هي تتقافز من حلم إلى حلم برشاقة تحسد عليها
أعني ألا يمنحها ظهورها بالحلم صك الوجود

بشكل ما؟

ألا يقولون أننا نحلم بالأساس بما يوجد حولنا أو
فيها؟

لا أعرف لكني الآن لا يمكنني أن أسايرك فأشبح
بوجهي عنها في الصباح
أستيقظ وكل ما أشعر به أن علي منح القطط
السوداء ما تقتات عليه

أضع القهوة أمامك فتقترب أجزأهم لتتشممها بينما
تتصفح هاتفك
تتسع عينيها في خوف وهي تنظر نحوي متهمة ثم
تركض مبتعدة

أكاد أطيح بفنجان القهوة من بين يديك قبل أن
ترشف منه

لكنك ترفعه نحو شفنتيك فأكتم أنفاسي في فزع
تتنوق القهوة في استحسان لا يتناسب مع شحوبي
فتخرج القطة من مكنها هازئة

كان من الممكن.. بل كان من المستحسن أن
أتجاهل القطط السوداء

لم أمشط شعري لعشرة أيام
لم أرتب فراشي ولم أغادره لأكثر من لحظات

رفع المعالج عينيه عن أوراقه حذرني بنبرة
متلطفة ولكن حاسمة في ذات الوقت من الاستسلام
للاكتئاب

اليوم مشطت شعري عشرين مرة
رتبت فراشي جيدا ثم تمددت على الأرض قربه
أفكر في الجلسة القادمة وأشعر بأنه ربما عليّ
النهوض لأمشط شعري مرة أخرى

أسود.. برتقالي..

عيوني مغمضة

ولكن نبضي يصر على إثبات وجوده بجفوني

تماما كما يفعل قرع طنينه بأذني

أسود دوم.. برتقالي تك..

أسود دوم.. برتقالي تك..

فمي أيضا مغلق

ولكن غصة قديمة

تصر على التقطير بحلقي كصنبور تالف

أسود دوم ملح.. برتقالي تك رمل..

أسود دوم ملح.. تك رمل..

ملح.. رمل.. ملح.....

في الليل تميل السماء لتطبق فوق صدورنا
ثم تعود لتخادعنا بزرقتها في الصباح..
في الحلم كنت في انتظارك حين اكتست بالحمرة
السماء..
أردتك أن تصل قبل أن تستعيد زرقتها
وكأنني ما عدت أكتفي بعيني شهودا..
في الليل.. في الحلم..
مل على صدري واعتصره بكل ما أوتيت من قوة
أطرد ما تسرب به من سحبها البيضاء..
في الليل.. في الحلم..
دعني أبكي بين شفئك زرقة
تعجز عن سرقتها منا السماء..

وفي الصحو..

خبرني أن عيوني صادقة

وأن الأزرق لنا والأحمر للسماء..

ألقى الرب طينة لينة بين يدي كل رجل وامرأة
وجلس يتأمل صنعمهم

انكفأ البعض يصنع أنية تصلح لحمل طعام صغار
ستشكلهم يد الرب في رضا
بينما شكل البعض أوعية مشوهة لا تصلح إلا
كمنفضة تحمل رماد سجانر تغضب الرب

أما نحن فكنا صغارا وحمقى
صغارا وحمقى ومهوسين بالفن
صنعنا بيننا قناعا ملأته أنا بانكسارات خطوط
بيكاسو

وكللته أنت بأعين إيجون شيل الجاحظة
استدار الرب نحونا
وهبت ريح باردة سرقت دفاء أصابعنا وجفت
طينتنا

لتبقى بيننا إلى الأبد

أعين شيل تلسع بجنونها أطراف أعصابي كلما

نظرت إليك

وخطوط بيكاسو تجرح بشفراتها الحادة يديك كلما

مررتها على جلدي

كان هذا عقاب الرب

لأننا لم نرضه

لأننا لم نغضبه

لأنه استدار نحو ما صنعنا

ثمة شيء قد انكسر هنا.. تخبرك خطوات قدميك
التي تتحسس الأرض في حذر بينما تعجز ذاكرتك
المعطوبة عن معرفة ما انكسر..

لا شظايا على أرض الغرفة العارية لكن يقين
قدميك ينتقل إلى قلبك فيردد (وأنا ضاع مني حاجة
كبيرة)

ينكفي أرضا يتحسس أرض الغرفة العارية بحثا
عما فقد تجيبه قدامك بيقين ثمة شيء قد انكسر
هنا..

الرمال في قلب الصحراء بيضاء..
الرماد أول ما تغادره النار أبيض..
السحابة التي اتخذت شكل كف يدك اليوم كانت
بيضاء..
والموسيقى التي تتردد بأذني منذ الصباح هي
الأخرى بيضاء..
قطرة الحليب التي تتدلى من شارب القط..
قصاصات الورق المتطايرة من حولي..
الملح الذي تنضح به الجدران..
السنوات التي تمر هنا فوق رأسي على مهل..
كلها كلها بيضاء

الغصة التي طال سكناها لحلقك حتى علق مذاقها
 بكل كلماتك، ستفسد عليك ذائقتك للكلمات إلى
 الأبد.. تماما كما يفسد ملح أمك الزائد بطعامها
 مذاق كل طعام سواه.

ستنحدر الوحشة ببسر إلى لسانك فتستبدلين أحبك
 في كل مرة بأوحشتني

وحين يقولها (أحبك) ستبحثين عبثا عن المرارة
 في الكلمة لتتمكنين من ابتلاعها
 وسيمنح صمتك كلمته المرارة المطلوبة حين
 يحاول قولها لسواك، تلك التي ستعجز عن ازدراد
 مرارته

سنلتقيان بعد حين _ربما_ لتصبح الوحشة وحدها
 لغة مشتركة بينكما.

ورأيتك تصعد كل جبل فتجعل منك عليه جزءا
ورأيتك بالوادي تناديك فلا تأتيك سعيا
ورأيتني أهتف أرني إياي أوقن
واهترت الجبال وما أبصرتني
وبكينا حتى سالت الجبال نهرا
والتئنا فكنا كلوحين بفلك
لكن الفلك الذي يشبه النجاة
لم يحمل يوما إنسا ولا طيرا

كأنبياء لا يؤمنون برسالاتهم نحن
تفسد هالة النصوص حين تتعثر على ألسنتنا
كأنبياء أعلنوا الكفر بأنفسهم نحن يا صاحبي

ينتهك شيئ من بياض اليقين حرمة صدورنا
كأنبياء نبذوا هالات الطهر فنبتهم الصليب
أو كصليبان عقيمة لم تحمل أنبياء أو مطهرين
وكاننا صليب الكلمة وموتها
وكاننا خلقنا ليكون السؤال وحده صليبا
وكاننا آمنة بالموت دون غيره فكفر بنا
نحن الصغار الذين اعتادوا التسلسل والاختباء خلف
أبوابه المواربة
ثم اختلسوا النظرات فى نزق عبر الثقوب إلى
الحياة العارية
فكيف نؤمن أن الأمر كل الأمر يجوز تأويله إلى
غير الوهم

يقول زهدت..

و أجيب يئست..

نتعاهد على أن نتشبت عيناه بأهدابي

وأن تتعلق أذنای بهمسات شفاهه

كى نطفو بسلام على سطح الدم الفاسد..

تمتد أصابعنا بلا وعى فى العتمة

تبحث عن شىء تتمسك به

فى جدران الأوردة الملساء..

تنغرس أصابعه فى لحمى

ويقول زهدت..

أنشب أظافرى فى روحه

و أجيب يئست..

ورأيت رأسا يستكين على صدري ويدي تربت
برفق عليه..

لكنني صحت عاجزة عن تذكر رأس من كان..
برغم بقاء الدفء في يدي ودفقة الحنان بصدري..
عجزت..

أكان أحد صغاري؟ أو غريب لا أعرفه؟ أو ربما
كان أنت..

حاولت جاهدة لكنني لم أعرف..

هذا العجز اخافني ككابوس قائم بذاته.. مخيف يا
صاحبي ألا تملك يقينا هوية الرأس الذي يؤويه
صدرك..

تقول الكتب أن السماء عديمة اللون
وأن انكسارات الضوء الأبيض بين طبقاتها تبعثر
كل الألوان ليبقى الأزرق وحيدا..

أتكور على فراشي لأرقبها

تتسلل ساخرة بكامل زرقتها عبر ثقب السقف.

. تسيل على الجدران لترسم خطوطا متشابكة

تشبه بشكل ما بيت عنكبوت ضخم..

تنتظر من الليل أن يربت على رأسك المتعبة.

. أن يتخلل خصلات شعرك كأصابع عجوز حانية

لكنه يزحف من بين الخطوط الزرقاء على

الجدران

كعنكبوت بأرجل طويلة ليحكم قبضته على

وجهك..

النوم صغير يرتعد أسفل الفراش

ولا أعرف أين أخبئ رأسي والعنكبوت المتربح
فوقها

ليتوقف صوت بكاء الصغير الخائف

بعد أعوام حين تجلس على حجر تخترع لأشباح
الرفاق الضجرة حكايات كما يقول سعادة..
حكاية من الحكايات أريدك حينها أن تخترعني..

اجعلني الذئب الذي زهد..

والجن الذي سقط في الحب...

اجعلني الخراف التي افترست أنفسها..

والرعيان الضريرة التي ترعى ظلالها.

. اجعلني الفراشات التي لا تنوب أجنحتها

مهما اقتربت من الشمس..

اآتر عني ذئابا و آنا و آرافا ور عيانا وفراشات
كما يقول..

والأهم اآتر عني مسافة آحررني من الحجر
اللعين..

ككل ليلٍ

يُلقي بي صمت الظلمة إلى ذراعيك

أتشبث بك بكل ما أوتيت من ضعف

لنرقص بخطوات مُتعبة

فوق أعصابي العارية تماما

من كل محاولات اللامبالاة

تسألني همسا عما تفعله بي الأيام

أوشك أن أبتعد قليلا لأريك الندبة الزرقاء

التي أراقبها منذ أيام تنمو على صدري

لكنني أزداد اقترابا

لأمرر شفتي على مثيلتها بمنبت عنقك

أبحث عن صوتي وسط ضجيج أنفاسي لأسألك

لم لا ينحت الدمع الصخر؟

تجيب قبل أن أسأل

لكنه رمل حبيبتى

كلانا قُدَّ من رمل

ينوب الملح بشفتيك على لسانى

و تبعثر همساتك اللاهثة روحى

مؤكدة من رمل.. من رمل..

سماء قرمزية وساعة معطوبة تحتل قلبها
جناحا ايكاروس يذوبان بغير لهيب
يقطران.. يكسوان مدينة الشمع
بطبقة جديدة من الأحلام الذائبة
جدار أملس وحيد
لا يعرف كيف يحمي الكلمات المسطورة فوقه
من قطرات الحلم الذائب
أو من أعين أعمدة الإنارة الذاهلة
وصغير تحاصره الرؤيا أن اقرأ
اقرأ.. اقرأ.. وما هو بعد بقارئ

تستيقظ وقد استحالت أصابعك كإدوارد إلى
مقصات وشفرات.. تمتد يدك إلى صندوق الوارد
إلى صفحة العالم إلى كل ما تطوله.. تمزق
الكلمات تمزق الحبال تمزق حتى البشر على
الجانب الآخر إلى فتات.. تنحني فتزدد كل ما
مزقت في طقس بوليمي بامتياز ثم تتقيؤه سرا با
مغويا من حبر أزرق.. تعلم جيدا أن السراب لا
يروى من ظمأ غير أن الريح الهادرة تعصف
فتطيح بكل ما هو سواه فتتجرعه رغما عنك أملا
في شيء من العطش في شيء من الصحراء.

وبيننا حديث منقوص

نطبق عليه شفاها

ككأس حبيبة متكسرة الحواف

في طقس مازوخي يشبهنا

مواسم التساقط اللاإرادي..

صدرى غابة تتساقط أوراقها قبل أن تمسها
الريح..

برأسى تتساقط أبيات مرثية ذاتية متهالكة البناء
يغتال قبحها معنى الموت والحياة..
تتساقط كل التفاحات بسلتى كقروية غافلة عن
عمد..

أمام المرأة تتساقط أردية فرحى وحرزى
تتركنى فى عري يابس غير فاضح..
كل شيء يتساقط إلاى..
كعامل نظافة محني الظهر
أجمع بلا اكتراث كل ما يتساقط حولي

كفارس ضرير يهتدي بصوت طبول الحرب أسير
نحو ذاتي.. كفارس ضرير طبوله داخل رأسه
..أدور حول ذاتي
كفارس يحمل أرض المعركة ويسير.. كفارس لا
تنهكه حرب ولا يطهره جرح ولا ينال منه إلا
المسير.. أسير

كلنا نرقص رقصة الغلالات يا سالومي

كلنا نرقص

نضع ونزاع الغلالة تلو الأخرى

لكننا حين نسقط الغلالة الأخيرة

لا نطلب رأس يحيى

حين نسقط الغلالة الأخيرة

نقدم رؤوسنا للعيون التي اخترقتنا

خبرنى يا يحيى عن سقوط الرأس

رأسى ثقيل يفسد اتزان رقصتى

أيمنح سقوط الرأس شيئاً من السلام؟

أخاف برودة الفضة يا يحيى

أريد لرأسى صدر الملك لتسقط عليه

تكبلنى غلاتنى يا سالومى

يثقلنى رأسى يا يحيى

أيها الملك الرحيم

انزع عنى كليهما

يتحسس معصمه كل ثانيتين كأنما سقطت عنه
الأصفاة لتوها.. يثبت عينيه على شعاع الشمس
الأخير يعافر ليتلكأ قليلا فوق أرض الغرفة
كصغير تصر أمه على ادخاله الفراش.. تنسحب
الشمس ساحبة معها كل صغارها.. ينسحب الدفء
المفتعل بيننا بغيابها.. يعود الصمت ليسقط حولنا..
زنزانة لا تألفها مهما طالت مدتك بها.. يلتصق
ظهرينا بجدار غير مرئي.. تنتقل لي في العتمة
أصفاة الخفية فاتحسس معصمي كل ثانيتين.

المستحيل هو الأكثر صدقا هنا..

لذا أخبئ بخرانتي غولا وعنقاءا وخلا وفيا..

يفر الغول بعض حين فأراه في الطرقات

ينكر الأمر

ولكنه يستسلم لي في كل مرة

وأنا أضيف إليه ملامح جديدة كيلا يشتبه الأمر

علي من جديد..

أشتهي نقاء الصدق فأحتمي بخرانتي بينهم

أعانق غولي بحنان كخل وفي

وأخلق بخلي كعنقاء تحمله على جناحيها من بين

رماده ليبعث من جديد..

تهمس العنقاء بي أن لا بعث بغير احتراق يا

صغيرتي

استسلم لها لتطويني برفق بجناحين من نار..

أغمض عيني وأحترق..

لكنني مع الشمس الجديدة

أبعث على ذات الأرض التي لا تؤمن بالمستحيل

لم تكن عاجزين عن النطق
 ولكن الكلمات كانت عاجزة عن النجاة من حدة
 معانينا
 لم تكن عاجزين عن القبل
 ولكن الحب كان عاجزا عن عبور شفافنا الباردة
 بغير تجمد
 لم تكن عاجزين عن السير
 ولكن الطرقات الهزيلة كانت عاجزة عن تحمل
 ثقل ظلالنا
 لم تكن عاجزين عن الموت
 ولكن الموت كان عاجزا عن النوم على وسادة
 أرقنا
 لم تكن عاجزين عن الحياة
 ولكننا مجازا أسميناها حربا لنبرر كل ضحايانا

الدقائق أسراب من النمل..

تستيقظ وقد بدأت آلاف الأرجل الدقيقة المشعرة
بالفعل بالزحف فوق جلدك..

تنهض بصعوبة وقد جمدت القشعريرة عظام
ظهرك..

خطوات صغيرة..

خطوات.. خطوات..

من جلدك إلى أعصابك إلى رأسك تسري..

خطوات..

الحكة داخل رأسك والخدر من نصيب جلدك..

خطوات خطوات..

تسير في عجل..

خطوات..

تفعل كل ما يقتضيه عمالك..

خطوات خطوات..

تعود إلى البيت..

خطوات..

تمضغ طعامك بقسوة تقتل مذاقه..

خطوات خطوات..

في التلفاز يغرس الرجل سكينه بجسد مكوم..

خطوات خطوات..

تنهض.. تتمدد في فراشك..

ثم

لا خطوات..

تمرر أصابعك على جلدك في تلذذ..

لا خدر لا خطوات..

تمرر الكلمات داخل رأسك ببطء

لا حكة لا خطوات..

تنقل الكلمات من رأسك إلى لسانك..

تهتف ترفع عقيرتك بالغناء ربما كمجنون ثم

تضحك بصوت عال

لا خطوات لا دقائق ولا وقت

لكنك أنت

عليك الآن فقط أن تقاوم النعاس بكل ما تملك..

النعاس الذي سيسلمك لخطوات جديدة في الصباح

تعريفات حدثية

الأيام.. فقاعات تغليف الأشياء الثمينة الهشة
 الزمن.. ثلاثينية في نوبة توتر تفقأ الفقاعات
 بأصابع مرتعشة
 الوحشة: حوت بشري ضخم يتقدم نحوك بفك
 مفتوح على الدوام ولا يصلك
 الوحدة: دوران مفاتيح باب الشقة المجاورة في
 السادسة تماماً كل مساء
 التوتر: طقطة أشجار غابة كاملة توشك على
 التصدع داخل رأسك
 الخوف: صراخ في وجه أشباح مرئية لا تراك
 الاكتئاب.. كومة غسيل ترتفع فوق ركام الهواء
 الحزن.. أشياء ثمينة هشة بغير فقاعات تغليف

كأمرأة يحتقن ثديها بحليب يتخثر في اللامسافة
التي تفصله عن فم رضيعها..
يفسد كل ما يعتمل بداخلي كلما حاولت أن أقم
الحياة إياه..

أية لعنة هذي يا صاحبي

إلى صلاح عبد الصبور..

هذي جبال الملح والقصدير
سيدي.. قاتتها كملاحك العتيد
ولم يطر قلبي مثله وجلا
بل فرحا

هذي إذا جبال الملح والقصدير
قاتتها وأسدلت جفنا متعبا
لكن مركبنا الهش من خلال الموت
مر منتصرا

هذي جبال الملح والقصدير
جنناها ثانية تحدونا صيحتنا الأولى
ندنو من المحذور.. في لهف
هتقنا

هذي إذا جبال الملح والقصدير
وارتفع غطيط بوسايدون مرة أخرى
مهلك تكرار النجاة.. مهلك
صرخنا

بوسايدون ويحك.. أفق.. اغضب
ببحارك ملاح جل سرايه
جبال الملح والقصدير

ثر علينا.. مر أمواجك تبتلعنا
فنحن كما قال السيد
لم نعش لنتنصر..
ولم نعش لننهزم..
لم نعش بالأساس
وإنما نحو جبال الملح
أبحرنا وأبحرنا

هل تعلم يا صديقي أني حزين
حزين وجاف تماما
كحبة رمل سجيئة بداخل ساعة رملية كلما أوثك
دورها على المرور كسائر حبات الرمال حولها
عبر الثقب الضئيل قلب الزمان الساعة كطفل
ملول
وكأنني يا صديقي عالق بداخل ذاك الحزن الجاف
منذ الأبد
تية صغير يحتجز صحراء شاسعة
تية صغير يحاصر العطش بأكمله
أمر حزين أليس كذلك؟ حزين وجاف تماما

طبول الحرب تدق برأسي بغير أنباء حرب
وشرابين مهتاجة تتراقص بصدري بغير رسل
سلام
والليل يتأملني بعين واحدة لا تكفي لأقرأ فيها
طالعي
أبدا لا تكفي

في الحلم كنا نسير قرب جدران مهذمة
 تفتح شفاهك لتتحدث فتعجز أن تطبقها من جديد
 يستمر فمك في الاتساع رغما عنك
 يتمدد يتخطى حدود وجهك
 يتحول إلى هوة مخيفة
 أفتح فمي فتنساقط أسناني من تلقاء نفسها
 كئثار لا تنتظر ثقل نضج
 أو حجر طفل صغير لتعلل سقوطها
 أرفع طرفي ثوبي بيدي لأصنع منه سلة ألتقط فيها
 أسناني المتساقطة
 أتأمل ما جمعته بعد حين فأجدها عصافير صغيرة
 مثقبة الصدور
 وكأن جارحا قد اجتث بنقرة واحدة قلوبها

ألقاك في الصباح

نسير فتطبق شفاهك بإحكام لا ألومك عليه

أدور بلساني داخل فمي لأتحسس أسناني

أمرر يدي على فستاني أحكم إسداله كي لا تعلق به
أي عصافير متساقطة

أتأمل الجدران قربنا فأجدها محكمة البناء

بل أكثر إحكاما مما ينبغي

أتساءل إن كانت تخفي بداخلها أخرى مهدمة

أم أنها في تماسكها الجديد تسخر من صمتنا

لدي سكين حاد بقلبي

لازلت أشعر بيده وهي تندس برفق لتخبئ سكينه
الأثير بقلبي

ملفوفاً كما كان دوماً بالمخمل الأخضر الداكن
على مقبضه العاجي تغفو الزنبقة الفضية التي
طالما مررت أصبعي عليها

ذاكرة أناملي تعجز عن إفلات خشونة صوف
معطف أبيه البالي وهي تفلت قلماً يقطر ملحا داخل
جيبه

عناق أخير كما يجب أن يكون

أتحسس صدري كل حين وأهمس لنفسي

لدي سكين حاد بقلبي

في كثير من الليالي أحلم بعالم يخلو مني ومنه
بمعطف بال وحيد وثقب بجيبه يضيّع سكيننا وقلما

أستيقظ فأسال نفسي أكنا هنا يوما؟

ير اسلني أحدهم أنه يفتقدني أغلق الهاتف وأنا أردد
لدي سكين حاد بقلبي

أدس يدي في جيب معطفي الصوفي وأمضي

الواحدة صباحا.. أتأمل قط الشارع ينتقل بحذر من
أسفل سيارة ما إلى أخرى
لم ينجح حظر التجوال وخلو الشارع من المارة في
إيقاف رأسه عن التلفت الوجل
أو في منحه شيئا من الطمأنينة العابرة..

يخلو الليل الغارق في الصمت من كل الأشباح..
لكن رأسي لا يكف عن التلفت الوجل..
مسقطا عنه كل التريبتات التي تركتها أيدي الرفاق
هناك لتهمز الأرق..

عزيزي أمل

يملاً حلقي هذه الأيام الكثير والكثير من الغبار
لم يعد النشيد الحماسي وحده يصدر عن الأبواق
النحاسية المغبرة

حناجر تلك البلاد تتحول بشكل ما إلى أبواق
وطبول

تزعق باستمرار خوفا من الصمت

حتى حناجر الأحبة

كصناديق موسيقية صدئة صارت تشرخ ألحان
الحنين

الصمت ذاته صار حبيسا أسفل الأسرة

منذ حولناه إلى غولنا المفضل

الغبار الصدئ بحلقي يغمر الأسماء

غير أني أعجز عن الكف عن النداء

أسقط داخل جسد ورد المتيسر برواية المنسي
 فنديل على رصيف المحطة.. أتأمل عبر أعينها
 القطارات ترحل وتصل بغير توقف..

(على الحلم أن يرشد الحالمين.. درويش)

أرانا ممدنين متجاورين على الرصيف تخبرني
 أن أضع أذني على الأرض لأن القطار سيخبرنا
 بسر.. يمر القطار فأخبرك أن نبضة قد أفلتت منه
 عبر الرصيف فقفزت إلى قلبي.. تنعنتني بالكاذبة..
 بل حدث أقسم لك قلبي الآن ينبض نبضة بصوته
 ونبضة بصوت القطار.. تتجهم ملامحك.. ربما
 كان ذلك هو السر الذي أراد القطار قوله لنا
 اجادلك.. أي سر تشيح بيدك كنت أكذب عليك..
 عبيطة تهتف غاضبا ثم تسبقني بخطوات متقافزة..

بعد أعوام نتشارك حب دنقل فتحتل نبضات قطاره
قلبي إلى الأبد
أذكرك بالقصة فتكرها من الأساس.. عبيطة
تخرج هذه المرة رقيقة مداعبة

أعود الى أعين ورد أشاهدك تترجل عن قطار
صدئ القلب.. تقترب من جسد ورد المتيسس
تتأملها لوهلة أبحث في عينيك عن عبيطة غاضبة
أو مداعبة.. لكنك تشيح بهما في صمت

(والقطارات ترحل والراجلون يصلون ولا
يصلون.. دنقل)

لتخبرك القطط أنها تحبك تنظر لعينيك ثم تغمض
غمضة طويلة.. لتؤكد احساسها بالأمان تغفو
بقربك كاشفة بطونها نقاط ضعفها..
كيف يصدق أحدهم حب امرأة عيني روحها
مفتوحتين على اتساعهما دوما كنافذتين عالقتين..
كيف لا تسرق يقظتها الدائمة الأمان من قلب من
يجاورها..

استيقظت اليوم فلم أشعر بثقل أنفاس الأشباح
المقيمة بغرفتي منذ أيام.. ملأت بالهواء الخفيف
صدري وقررت الخروج من منزلي.. لكن المرأة
الفضولية بمرآة المصعد أطالت التحديق بي يا
صاحبي فارتعبت.. ضغطت زر الصعود مجددا
من غير أن أغانر المصعد وأسرعت إلى شفتي
لأبحث عن الأخرى الطيبة التي تتحاشى نظراتي
بالمرآة أعلى المغسل كل صباح فلم أجدها..
ركضت إلى غرفتي فحملت الرأس الذي تركته
ليغوص منذ أيام في الوسادة بعيدا عن كل البشر
وخرجت لأتكور محتضنة إياه فوق الأريكة
عاجزة عن النهوض لأتيقن من رتاج الباب الذي
ظل عقلي يحدثني بأني لم أحكم اغلاقه..

اليوم لم تحاريني الأشباح يا صاحبي لكني رغما
عني مجددا انهزمت

أنا منك.. يحدثني ظلي.. سرت بما يكفي لتهجرتني
قداي، ربت بما يكفي لتسقط يداي، أحببت بما
يكفي ليحف قلبي.. أنا مستهلك بالكامل يقول بينما
تسقط رأسه على ساقي.. أتجمد في موضعي
لأحرس غفوته.. أشعر بالخدر يجتاحني.. تهجرتني
قداي، تسقط يداي و يحف قلبي.. أستهلك بالكامل
في حراسة ظلي..

انغلقت نافذة إلى الأبد.

تخبرني روعي بيقين حزين يمنعي من سؤالها
 عن مكان تلك النافذة أو عما يوجد خلفها..
 تسقط في صمت تام وكأن كل الكلمات كانت
 تنساب من وإلى تلك النافذة..

أثرثر طوال اليوم أشراك قدر استطاعتي في
 ماكينة العالم لصنع الجلبة.. لكني كلما تحدثت كلما
 أيقنت أن ما يجري على لساني أشباح كلمات لا
 أكثر..

انغلقت نافذة إلى الأبد..

أنشبت بالعبارة كآخر ما أملك من كلمات حقيقية
 انغلقت نافذة إلى الأبد

كعادتي لا أدرك ضياع الأشياء إلا حين أحتاجها..
 أجلس قرب صديقي.. أفتح فمي لأهمس له شيئاً
 فاكتشف ضياع صوتي.. أغمض عيني محاولة
 تذكر أين ومتى فقدته.. أراني أتعثر في الطريق
 وأسقط لينزلق صوتي من فمي فتتقاذفه أرجل
 المارة.. ثم أراني أخبئه بصندوق صغير كي لا
 تقسده أيادي الصمت.. ثم أراني أصرخ في وجه
 العاصفة فتحمله وتمضي.. ثم أراني أطويه بداخل
 رسالة أعجز عن تذكر عنوان من أرسلتها إليه..
 كعادتها ذاكرتي المعطوبة إنن تستعين بخيالي
 النشط في محاولة منطقة الفقد.. أنفض عن رأسي
 كل الصور وأميلها على كتف صديقي وأصغي
 لأصداء الصوت الضائع تردد (تحب نغني
 وصوتي هارب مني)

ربما كل ما نوده من هذه الحياة هو أن نطبع قبلة
صغيرة على جبين الزمن..

لا لنترك أثرا ما

ولكن لنكون يوما ما إجابة لتساؤل أنامل صغيرة
تتحسس طريقها:

أترى توقف أحدهم يوما ليطلع قبلة هنا؟